

الخبر في ادب ابن العميد

غفران أحمد إسماعيل أ.م.د. ندى سالم عيدان الطائي

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

humammammed1@gmail.com

الخلاصة

عُني هذا البحث بالكشف عن الخبر وأثره البلاغي في أدب أبي الفضل ابن العميد (نثراً وشعراً)، فالخبر أسلوب من أساليب (علم المعاني)، ويعد من قرائن الأبداع كونه ينقل الكلام من بنيته السطحية إلى بنيته العميقة، مكون اغراضاً غير اغراضه الاصلية التي نتوصل إليها بعد الغوص في الفكر، بإشارات وقرائن يضعها الادييب، تساعدنا على فهم المقصود. وقد حفل أدب ابن العميد بهذا الأسلوب، مستمراً ابعاده البلاغية في تكوين الاغراض المقصودة من ظاهر الخبر، جاءت دراسة البحث مسلطة الضوء على الاغراض المهيمنة في نتاجه الادبي، بصورة تراثية إذ تصدر البحث بغرض المدح وخُتم بغرض الفخر.

الكلمات المفتاحية: (الخبر، ابن العميد، أدب)

The news in the literature of Ibn Al-Ameed

Ghufran Ahmed Ismael Asst.Prof. Dr. Nada Salim Edan Altaie

Al-Mustansiriyah University- College of Arts - Arabic language Department

Abstract

This research was intended to reveal the news and its rhetorical effect on the literature of Abu Al-Fadl Ibn Al-Ameed (prose and poetry). The news is one of the methods of (the science of meanings). After immersing in thought, signs and clues put by the writer help us to understand what is meant.

Ibn al-Ameed's literature was celebrated in this manner, investing his rhetorical dimensions in the formation of the intended purposes from the apparent meaning of the story. The study of the research came to shed light on the dominant purposes in his literary product, in a hierarchical manner, as the research was published for the purpose of praise and sealed with the purpose of pride.

Key words: The News , Ibn Al-Ameed , Literature

توطئة

اللغة بمدلولها الفكري بتجاذبها مستويان لهما علاقة بالاعتقاد او الفكر في مسألة أشكال العبارة عند أرسطو (ابي بشر متى بن يوسف، ١٩٦٧م، صفحة ١٠٧، ١٠٨) ف"كل فكر لابد له لكي ينتقل من أن يعبر عنه" (بدوي، ١٩٨١م، صفحة ٣١) سواء كان بالمستوى الخبري أو الإنشائي، وهذان المستويان مشتركان بين مباحث النحويين والبلاغيين، بحيث يخضعان في النحو لمقتضيات الأعراب والبناء والقواعد، أما عند البلاغيين يمكن أن يتناولها من حيث إنها فنا صياغياً داخل محتوى نص لساني تؤشره بيانات قرآنية، وعلاقات أوصرية بين مركبات الوحدة الكلامية (عبدالخليل، ٢٠٠٢م، صفحة ٢٣٣) يراعى في ذلك المطابقة لمقتضى الحال، والنفاد إلى قلب السامع بما يعتمل في فكره.

والخبر في لغة العرب بمعنى العلم والإعلام "فأهل اللغة لا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام تقول: أخبرته أخبره، والخبر هو العلم" (الرازي، ١٩٩٣م، صفحة ١٧٩)، وورد كذلك بمعنى النبأ والجواب "فخبرت بالأمر أي: علمته، وخبرت الأمر أخبره إذا عرفت على حقيقته، والخبر - بالتحريك - واحد الأخبار، والخبر: ما أتاك من نبأ عن تستخير، والخبر: النبأ" (المصري، ٢٠٠٤م). أما مصطلح الخبر في الماضي فقد استخدمه اللغويون بمفاهيم متعددة في البلاغة والنحو، وكلها تتدرج تحت مفهوم (الخبر النحوي والخبر البلاغي)، و"المعنى الأول للخبر هو معنى خاص يتمثل في وظيفة المحل الاعرابي للمبني على المبتدأ، فهو المسند الذي لا يغني عنه المسند إليه، واما المعنى الثاني للخبر، فهو معنى عام يتمثل في الوظيفة الدلالية للقول باعتباره يكون خبراً واستخباراً وأمرأً ونهياً..." (ميلاد، ٢٠٠١م، صفحة ٦١)، فهو عند النحاة يطلق على المجرد المسند الى المبتدأ أي: الجزء الذي يتم به الفائدة مع الخبر (خبر المبتدأ)، والخبر البلاغي الذي هو قسيم للكلام الانشائي، هو ما يجوز على قائله التصديق والتكذيب، أو هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب (الرازي (ابو الحسين)، ١٩٩٧م، صفحة ١٣٣) (النحوي (ت ٤٧١هـ)، (د.ت)، صفحة ٥٢٨) (السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ١٩٨٧م، صفحة ١٦٤)، إلا إن من الضرورة النظر الى الكلام لذاته، اي كجمله لغوية دون النظر الى المخبر أو الواقع، إذ إن هناك أخبار ما هو مقطوعٌ بصدقه، كالأخبار الصادرة من القرآن والرسول، وأخبار مقطوعٌ بكذبه كأخبار المتنبيين مثلاً (عتيق، ٢٠٠٩، صفحة ٤٧).

الاعراض المجازية التي يخرج إليها الخبر:

يخرج الخبر عن المعنى الحقيقي الى معانٍ مجازية متعددة باعتبار حال المتكلم، وفعل المخاطب، فقد يخرج الخبر بلاغياً الى المدح والتعسر، والشكوى، وغيرها.

وينكشف المعنى في معرفة ما وراء الخبر ما يتضمنه من معانٍ أخرى تفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال تسمى بالأعراض، وهذا الأسلوب لا يتميز به إلا المبدع؛ لأنه يُعد من قرائن الأبداع بنقل الكلام من بنيته السطحية الى البنية العميقة مكون أعراضاً غير أعراض الخبر الأصلية، وهذه النُكْتَة لا يمكن الوصول إليها إلا بعد الغوص في الفكر وصولاً الى المعنى المراد، بمساعدة القرائن التي يضعها المبدع (الهاشمي، (د.ت)، صفحة ٥٦) (عتيق، ٢٠٠٩، صفحة ٦٣، ٦٤)، ومن هذه الاعراض المجازية التي برزت في ادب ابن العميد:

المدح الذي برز بوضوح من بين الاعراض المجازية الاخرى في أدبه، فقد تصدرها من حيث سعة انتشاره، ويقصد به عندما يكون اللفظ خبراً والمعنى مدحاً (قاسم و ديب، ٢٠٠٣م، صفحة ٢٧٣)، من ذلك قوله: "وَصَلَّ مَا وَصَلْتَنِي بِهِ - جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ - مِنْ كِتَابِكَ، بَلْ نَعْمَتِكَ التَّامَّةِ، وَمَنْتِكَ الْعَامَّةِ، فَفَرَّتْ عَيْنِي بِرُودِهِ، وَشَفِيَتْ نَفْسِي بِوَفْوِهِ" (المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ١٠١)، يسعى ابن العميد الى اظهار اعجابه وانبهاره بكتابٍ بُعث إليه من أحد إخوانه، مستثمراً بتوظيفه أسلوب الخبر، عبارات المدح للكتاب قاصداً صاحبه، محاولاً "اثبات ما لغيره له لأجل المبالغة" (اليمني (ت ٧٤٥هـ)، ٢٠٠٢م، صفحة ١٠٥)، فقد جاء الخبر بصيغة الماضي (وَصَلَ، جَعَلَ، قَرَّتْ، شَفِيَتْ) ولأن للفعل قبل كل شيء قيمة و محتوى دلالي فقد منحت تلك الأفعال بعداً دلالياً أكثر عمقاً و تقريراً في النفس، فقوله: "فَقَرَّتْ عَيْنِي بِرُودِهِ، وَشَفِيَتْ نَفْسِي بِوَفْوِهِ" استطاع ان يرقى بممدوحة الى المكانة الرفيعة، بجعله الفرح الذي يقرّ عينه، والدواء الذي يُشفي به.

ومن قوله أيضاً: "قَدْ خَصَّنَا اللَّهُ تَعَالَى مَعَاشِرَ عَبْدِ الْأَمِيرِ عَضْدِ الدَّوْلَةِ بِنِعْمَةٍ يَغْلُو مَرَاتِبَ النِّعَمِ، وَيَفُوتُ مَقْدَارَ الْمَوَاهِبِ مَوْضِعُهَا، فَبَاسْمِهِ - أَبْقَاهُ اللَّهُ - فَتُحَ الْفَتْح..." (المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ١٠٧)، يخبر ابن العميد عن بهجته بفتحٍ حدث في ظل الأمير عضد الدولة، فيستثمر الأسلوب الاخباري في بيان مكانة ممدوحة وإعلاء شأنه عبر نافذة التعبير المجازي، بإبرازه معاني (الشجاعة والقوة والعزة) داخل النص، فيستثمر ابن العميد إمكانية الخبر في جلب انتباه المتلقي؛ لأنه يحاول أن يوصل

معلومة تكشف عن حقيقة مدوحه بأنه لولاه لما تمكنت الدولة في الحصول على الاستقرار والحماية وقهر الاعداء*. ومنه قوله من [الكامل]:

وَأَخِ كَمَاءِ الْمَزْنِ يَقْرَعُهُ لِلْمُبْتَغِيهِ عَلَى الصَّدَى ثَلَجُ
مُتَوَضِّحُ الْأَخْلَاقِ لَوْ غَمَسَتْ فِيهِ اللَّيَالِي السَّوْدُ لَمْ يَدْجُ

(المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ٤٥)

ينفذ الشاعر عبر التلون بالجمال الخبرية الة مدح مخاطبه وتعظيم مكانته و قدره، فيتخذ من التشبيه في تصويره بصفات رسمها له (كماء المزن) والشرط بـ (لو غَمَسَتْ فِيهِ اللَّيَالِي) حدوداً تميزه عن غيره من اكارم الناس، فيجعل كرمه وسخاءه كالماء المتلج الذي يقدم لمن اشتد عطشه، واخلاقه بالنور الذي لا يهفت أو ينطفئ في دجى الظلام وهو بذلك يكسب صورته بعداً مؤثراً. ونحو قوله ايضاً في هذا المعنى من [الكامل]:

عَضْدِي أَصُولٌ عَلَى الزَّمَانِ بِهِ وَيَدِي أَذْبُ بِهِ وَأَخْتَجُ
نَضَبُ الْعَدَاةِ يَلْمُ مَا ثَلَمُوا مَنِّي وَيَأْسُوا كُلَّ مَا شَجَا

(المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ٤٥)

يصدر ابن العميد في بيان خبره عن رؤية ناضجة للعلاقة بين القوة والشجاعة، والوفاء والاخلاص، ولا شك أن ابن العميد تعمد بناء بيته على هذه الصورة فهو على دراية تامة بالمعنى الذي أفادته لفظيته(عضد، يد) لما بينهما من تقارب، إلا إنه استطاع بأسلوبه الخيري أن يرسى بهما الى مينائه الفني، فقد وظف لفظه(عضدي) ليدل بها على القوة و المناصرة والأعانة، والتي رمز بها للسيف، أما (اليد) فقد ألبسها الذب و الاحتجاج؛ لتظهر المكانة الأدبية الرفيعة والقدرة الفنية في الدفاع و إلزام الحجة بعد هذا، إذ يخبر عن شدة إعجابه لموقف صاحبه اتجاهه وقت الحاجة اليه ففي قوله: (عضدي أصول على الزمان به) (يَلْمُ مَا ثَلَمُوا)، كناية عن القوة التي يدافع بها عن نفسه، فكشفت العبارة الاولى عن خبر قوته وقدرته، أما العبارة الثانية كشفت عن نبل اخلاقه وقرب مكانته، فهو كالسيف الذي يقا تل به الاعداء في كل خطب يواجهه، لذلك لا يأبه لتقلبات الزمان، فضلاً عن قربه الذي يطيب خاطره كلما ساء به، فالمعنى الذي أفاده الخبر هو المدح الخالي من المبالغة، لان الصفات التي ذكرت في الممدوح ممكنة لدى صاحب المخلص الذي يظهر أخلاقه وقت الحاجة إليه*.

وقد يوجه الأديب انتباه المخاطب إشراكه بما يعانیه من أوجاع، بمعونة قرينة الحال (السكاكي (ت٦٢٦هـ)، ١٩٨٧م، صفحة ٣٠٦)، نحو قول ابن العميد: "أنا أشكو إليك دهرًا خَوْناً غَدُورًا، وزمانًا خُدُوعًا غُرُورًا، لا يَمْنَحُ ما يَمْنَحُ إِلَّا رَيْثٌ ما يَنْتَرَعُ، ولا يَبْقَى فيما يَهْبُ إِلَّا رَيْثٌ ما يَرْتَجِعُ" (المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ١٠٥)، إذ يستعين بأسلوب الخبر، لبيث شكواه (أنا أشكو إليك) داعياً الى مشاركة المخاطب بما يعاني من ألم وأوجاع، باحتواء الخبر على وصف لحالته بما فعل الدهر والزمان به، قاصداً (صاحباً له)، وذلك بإضفاء صفات الإنسان في الالفاظ (خَوْناً غَدُورًا)، (خُدُوعًا غُرُورًا)، تلك الصفات شخّصت معاناة المتكلم، فالمعنى المنحصر في الخبر هو الشكوى المتضمن معنى التحسر، إلا إن الشكوى أحاطت بمعناها، وذلك ما يفهم من السياق. هذه التقنية في توظيفه لأسلوب الخبر زادت من فنيته الأدبية، إذ استطاع أن يكشف عن صفات هذا الزمان عبر توظيفه لأسلوب الاستثناء المفرغ (لا يَمْنَحُ ما يَمْنَحُ إِلَّا رَيْثٌ ما يَنْتَرَعُ)، (ولا يَبْقَى فيما يَهْبُ إِلَّا رَيْثٌ ما يَرْتَجِعُ)، للوصول بالصياغة الى درجة عالية من الشكوى والألم، وفي اعتماده الافعال (يمنح، ينتزع، يبقى، يرتجع) داخل النص، منحه قدراً عالياً من الاستمرارية والتجدد، لحالة الألم والوجع والأسى، لما فيها من حركية متجددة في اظهار أكبر قدر من المعاناة.

*ينظر في غرض المدح رقم الرسالة والصفحة في أدب ابي الفضل ابن العميد: (٩٨-١٠)، (١٠٢-١٥)، (١٠٧-١٩)، (١٠٨-٢٠)، (١١٨-٢٦)، (١٢٠-٢٨).

*ينظر في غرض المدح رقم البيت والصفحة في أدب ابي الفضل ابن العميد: (١١، ١٢-٣)، (٩٦-٩)، (٥٦-٢).

ومن قوله أيضاً: "أخاطبُ الشَّيْخَ سَيِّدِي - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ- مُخَاطَبَةً مُحَرَّجٍ يرومُ التَّرويحَ عَنْ قَلَمِهِ، ويربِّغُ التَّفْرِيحَ مِنْ كَرِبِهِ، فأَكَاتِبُهُ مَكَاتِبَةً مَصْدُورٍ يَريدُ أَنْ ينفِثَ بَعْضَ مَا بِهِ، وَيَخَفِّفَ الشُّكُوى مِنْ أَوْصَابِهِ...فَقَدِيمًا لَبِستُ الصَّدِيقَ عَلَى عِلَاتِهِ، وَصَفَحْتُ لَهُ عَنْ هُنَاتِهِ، وَلَكِنِّي مَغْلُوبٌ عَلَى الْعِزَاءِ، مَأْخُودٌ عَنْ عَادَتِي فِي الْإِغْضَاءِ" (المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ١١٢)، يوظف ابن العميد في شكواه الأسلوب الخبري للتعبير عن حزنه وأساه؛ ليخفف عن كربه وما اعتلى صدره من الحزن، محاولاً تبرير هذا الخبر الذي انبعث من طبيته، ووفاءه لصديقه، وعفوه عن الأخطاء، بأن تلك السجايا لازمة فيه لا يستطيع التخلي عنها، وبذلك يفصح الخبر عن دلالة نفسية قلقة، تتعلق بمشاعر الأديب الذاتية، التي حاول الإفصاح عنها بقوله: (أخاطب، أكاتب)؛ لبيان ما ينتابه من هموم ومكابد. * ومن قوله من [المنسرح]:

قَلْبِي دَامَ بِهِ نُدُوبٌ يَكَادُ مَمَّا بِهِ يَنْدُوبُ

(المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ٣٨)

يخبر الشاعر عن توجهه، فهو يشكو ما حلَّ به من هموم عبر ذكره لقرينة تعد مصدر تحكم المشاعر والاحاسيس هو (القلب)، بقوله (قلبي دام)، إذ عبر عن شكوى ذاتية بدلالة (بَاء) النسب، فمعلوم إنَّ الإنسان لا يشكو إلا إذا توجع، وتلك الاوجاع اصابته بقلبه بالذات؛ لما حصده من هجر المحبوب الذي ترك ندوباً اوشكت على فناء قلبه من شدتها، وهذا الوصف يصور غاية الشعور بالضعف والألم المتولد من ألم الجوى الداخلي، وليس من ألم الاعضاء الحقيقي، وهو ما ارغمه على الشكوى، ليبوح ما داخله تخفيفاً عن نفسه. * ومن قوله من [المتقارب]:

أَشْكُو إِلَيْكَ زَمَانًا ظَلَّ يَعْرُكُنِي عَزَّكَ الْأَدِيمُ وَمِنْ بَعْدِي عَلَى الزَّمَنِ
وَصَاحِبًا كُنْتُ مَغْبُوطًا بِصَحْبَتِهِ دَهْرًا فَغَادَرَنِي فَرْدًا بِلَا سَكَنِ

(المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ٧٨)

حاول الشاعر أن ينقل للمتلقي مشاعر حزينة تتأرجح بين شكواه من الزمن، وحزنه على اصحاب فارقه وجدوا ما بينهم وبينه من وصال، فأزدهم النص بالجمال الخبرية (اشكو، ظل، يعركني، يعدي، غادرني) التي شحنت بدلالات اوحث بحال صحبته التي أصابها التبدل والتغير. *

وقد يرد الخبر ليفيد غرض العتاب، والذي يكون الأغلب الأعم بين الأصدقاء والاحباب، لذلك يحدث بشكل خفيف عند اظهار أحد الطرفين عدم الارتياح لسلوك ما، فعلاً كان أو تركاً (الميداني، ١٩٩٦م، صفحة ٢٨٠/١).

يظهر في قول ابن العميد: "بعتني بيع الخلق، وليس فيمن زاد ولكن فيمن نقص، ثم اعرضت عني إعراض غير مراجع، واطرحتني اطراح غير مجامل" (المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ١٠٥)، يشع من الخطاب دلالات الهجر والإعراض، فسياق الكلام يحمل في ثناياه كل معاني العتاب واللوم التي تتضح في الألفاظ (بعتني، اعرضت عني، اطرحتني) التي دلت على الترك والاستغناء دون التفكير بالعودة، وهذه الالفاظ وما حملته من دلالة استطاعت ان تؤدي المعنى المقصود من إلقاء الخبر.

وفي قوله: "فقد سلَّ من جفائك ما تركَ احتمالي جفاء، وذهب في نفسي من ظلمك ما انزفَ حلمي فجعله هباء" (المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ١١٢)، نجده يلقي الخبر مؤكداً بـ(قد)؛ لما للتوكيد من اثر بارز في إيراد قصيدة الخبر في ذهن المخاطب، وهو العتاب مع اللوم، فابن العميد يخبر عن الأسباب التي افقدته حلمه فيحدها بقوله: (من جفائك، من ظلمك)، فتلك الأفعال جعلته يبيث هذا العتب ويبوح عن مكابدة قوية عاشها نتيجة الهجران والفرق فكل لفظة وردت في الخبر (سلَّ، ترك، انزف، جفاء، ظلم، هباء) كان لها دورٌ أساسي في تشكيل صورة للعتاب لاسيما انه جعل من هجر صاحبه ظملاً أصاب جسده بالجروح

*ينظر في غرض الشكوى رقم الرسالة والصفحة في أدب ابي الفضل ابن العميد: (٢٣-١١٥).

* ينظر: في غرض الشكوى رقم البيت والصفحة في أدب ابي الفضل ابن العميد: (٣-٣٤).

(أنزف حلمي) وهذه الصورة الاستعارية شاركت في اخراج شكل العاطفة (شدة الشوق) ما يدل على أن المخاطب كان يجد المتكلم صاحباً مقرباً؛ لذلك القى الخبر مؤكداً، للأصرار في العتاب*.
وفي قوله من [الكامل]:

وَنَبَذْتُ حَقِّي عَشْرَتِي وَمَوَدَّتِي وَهَرَقْتُ مَائِي خَلْتِي وَإِخَائِي
وَتَثَيْتُ آمَالِي عَلَى ادْرَاجِهَا وَرَدَدْتُ خَائِبَةً وَفُودَ رَجَائِي

(المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ٣٥)

يستخدم الشاعر الخبر في غرض العتاب واللوم، وعتابه على الشخص الذي يبخل عليه بالمودعة واللقاء لما كان بينهما من (عشرة ومودة، وخلة وإخاء) فيتخذ من الاستعارة في تصويره الذي رسمه (ماء خلتي وإخائي) (ثبيت آمالي على ادراجها) (وفود رجائي) والتقديم والتأخير في (خائبة) صورة ذات بعداً مؤثراً تكشف عن نفسية الشاعر المتألّمة التي تختزن الألم والانكسار وذلك بالضرب على أوتار القلب بالتذكير في الماضي (نبذت، حرقت، تثبت، رددت) لتصوير مشاعر العتاب والتحسر*.
وقد يقصد ابن العميد من إلقاء خبره إهانة المخاطب، بإلصاق صفات به خلاف المدح والتعظيم (النحوي (ت٦٤٣هـ)، (د.ت)، صفحة ٤٧/٣).

يتضح ذلك في قوله: "وهل نشكوك إلى الدهر وهو حليفك على الإضرار، وعقيدك على الإفساد... فإنه قاصر عنك في دقائق مخترعة، أنت فيها نسيج وحدك، وقاعد عما تقوم به من لطائف مبتدعة، أنت فيها وحيد عصرك" (المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ١١٢)، على الرغم من تصدر الخطاب بأسلوب من الأساليب الانشائية وهو الاستفهام المجازي الذي وظف لغرض الشكوى والعتاب، إلا إن الخبر الذي جاء بعده حمل معنى مجازي مغاير (توبيخ للمخاطب)، بقوله: ((فإنه قاصر عنك))، فمن المعلوم ان صفات الخديعة والمكر لطالما اتسم بها الدهر، إلا إن ابن العميد يجدها غرائز تنفرد لصاحبه وحده، دل عليها من خلال:

١- دلالة اللفظ: (نسيج وحدك)، (وحيد عصرك)

٢- أسلوب التوكيد: بتكرار الجملة الأسمية (انت فيها)، فتكرارها في النص عبرت عن جوهره، وبذلك قوّي المعنى في ذهن مخاطبه، فالدهر أرق وألطف بالتعامل معه؛ لذا جاء الخبر ذماً لقبح افعال المخاطب، واتضح هذا المعنى من خلال اختيار المتكلم لألفاظ تناسب ما يتصف به المخاطب من صفات الوضاعة واللئيم التي صرح بها في سياق الخبر*. وفي قوله من [البسيط]:

لَا غُرُوَ إِنْ لَمْ تَرُحْ لِلْجُودِ رَاحَتِهِ فَالْبَخْلُ مُسْتَحْسَنٌ فِي شِمَةِ الْخُوزِي

(المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ٥٨)

يُلاحظ أن الشاعر قد أزال تعجبه في بداية خبره بقوله: (لا غرّو)، ليستقطب ذهن المخاطب، ويستعين بأسلوب الشرط (إن لم تُرح) في تأكيد قصدية الخبر في ذم وتحقير صاحبه، فهو لا يعجب من بخل صاحبه، لأنه يجدها صفة ثابتة لدى بلاد خوزستان، قاصداً المخاطب نفسه، من باب تخصيص (العام بالخاص) لنسبته لتلك البلاد*، لذا فقد أصاب بأسلوبه الخبري معنى الذم، صفة فالبخل من الصفات التي يتقصدها العرب والشعراء خاصة، لينالوا من المهجو*.

*ينظر في غرض العتاب رقم الرسالة والصفحة في أدب أبي الفضل ابن العميد: (٥-٩٤)، (٢٢-١١٣).

*ينظر في غرض العتاب رقم البيت والصفحة في أدب أبي الفضل ابن العميد: (٤-٣٨)، (٣-٦٦).

*ينظر في غرض الذم والتحقير رقم الرسالة والصفحة في أدب أبي الفضل ابن العميد: (٢٣-١١٥).

*الخطاب موجه الى صاحبه ابن خالد الفارسي الرامهرمزي، الذي سبق ذكره في التمهيد.

*ينظر في غرض الذم والتحقير رقم البيت والصفحة في أدب أبي الفضل ابن العميد: (٢-٧٧).

ومن الاغراض التي ساق من اجلها ابن العميد خبره (النصح والإرشاد)، وفي الأغلب الأعم ما تتخلله معاني الموعظة والحكمة (قصاب، ٢٠١٢، صفحة ٣٩).

يتضح ذلك بقوله: "إلى الذل عاقبة المستبد العزيز، وإلى العز عاقبة المستشير الذليل" (المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ١٣٠)، يصدر خطابه بتقديم الخبر (إلى الذل) و(إلى العز)، لينبه السامع ويلفت اهتمامه بعواقب الأفعال المشينة عند فعلها، وثواب الأفعال الحسنة، وعلى الرغم من إفادة الخبر معنى التحذير في أوله، إلا ان المقصود منه كان مغايراً، فقد حمل معنى (النصح والإرشاد) الذي تخلل نسيج الخبر، فالنصيحة جاءت بإرشاد المخاطب في الابتعاد عن طغيان التكبر والتفاخر، على خلاف من تواضع وشارك اراءه بغض النظر عن منزلته وعلمه. وفي قوله ايضاً: "المرح والهزل بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد العسر، وفحلان إذا ألقا لم ينتجا غير الشر" (المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ١٣٤)، تتضح دلالة (النصح والإرشاد) عبر اخبار ابن العميد عن مساوئ المزح والهزل إذا اقتحما المجالس، فيستثمر الصور البيانية (التشبيهية) في بيان الغرض المرجو، فيشبهما تارة بالبابين اللذين يصعب غلقهما إذا فتحا، وتارة أخرى بفحلا حيوان ينتجا الشر إذا لقحا، قاصداً منه اختلاط المزح والهزل مع الجد في الكلام يولد الطعن والتجريح لما يحمل من سخرية واستهزاء تحط من قدر المرء، وتلك الامور تنتج العداوة والبغضاء؛ لذا جاء النصح بالتجنب والابتعاد من هذا الفعل، بمعونة معنى التحذير الذي سيق لتعزيد المعنى الأساسي (النصح والإرشاد)*

وفي قوله ايضاً من [الكامل]:

إِنَّ الْقِدَاحَ إِذَا اجْتَمَعَ فَرَامَهَُا بِالْكَسْرِ ذُو بَطْشٍ شَدِيدٍ أَيْدٍ
عَزَتْ فَلَمْ تَكْسَرْ وَإِنْ هِيَ بُدِدَتْ فَالْوَهْنُ وَالتَّكْسِيرُ لِلْمُتَبَدِّدِ

(المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ٥٢)

يورد الشاعر خبراً يتجلى فيه حكمة من حكم الحياة ضمنه عبر صياغته لمثال؛ لأن "في الأمثال من تأنس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت الامثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد" (السبحاني، ٢٠١٠، صفحة ١٢/٩)، فيشبه قوة الجماعة بقوة عصي السهام التي لا تستطيع الايادي كسرهما مهما بلغت من قوة وشدة، على عكس تفريقها وانفرادها الذي يسهل كسرهما، وهذا حال المرء عن اجتماعه مع الجماعة وبالعكس* (بن خلكان (ت ٦٨١هـ)، (د.ت)، صفحة ٣٥٤/٥).

أدى التشبيه الذي جاء بصيغة المثل قصدية الخبر الذي أسند بمؤكد (إن)؛ ليجعل من التوكيد قوة في اظهار معنى نصح السامع وارشاده على الاتحاد والتعاون.

وقد يدل الخبر على الاستغناء، ذلك عند ترك شيء اما لوجود آخر مكانه أو لعدم الوجود (السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ١٩٨٧م، صفحة ٤٦).

نحو قول ابن العميد: "إِنَّ الدَّهْرَ جَرَى عَلَى حَكْمِهِ الْمَأْلُوفِ فِي تَحْوِيلِ الْأَحْوَالِ، وَمَضَى عَلَى رِسْمِهِ الْمَعْرُوفِ فِي تَبْدِيلِ الْأَبْدَالِ، وَاعْتَقَنِي مِنْ مَخَالِبِكَ عَتَقًا لَا تَسْتَحَقُّ بِهِ وَلَا عَاءً، وَأَبْرَأْنِي مِنْ عَهْدِكَ بَرَاءَةً لَا تَسْتَوْجِبُ مَعَهَا دَرَكًا وَلَا اسْتِثْنَاءً، وَنَزَعَ مِنْ عَنَقِي رِبْقَةَ الذَّلِّ مِنْ إِخَائِكَ بِيَدِي جَفَائِكَ" (المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ١١٠)، إن حقيقة جوهر الصديق لا تظهر في اوقات الرخاء والنعيم، إنما تظهر في الشدة والحاجة إليه، هذا ما اخبر به ابن العميد، ليبين سبب استغنائه عن صاحبه، وما للدهر من فضل في الكشف عن زيفه-صاحبه- بعد ان اوقعه الدهر في الشدة، هذا المعنى أوضحت الاستعارة التي كان لها دور اساسي

*ينظر في غرض النصح والإرشاد رقم الرسالة والصفحة في أدب ابي الفضل ابن العميد: (٤٣-١٣٥).

*استلهم ابن العميد هذا المعنى من الحادثة المشهورة المتعلقة بوفاة المهلب بن ابي صُفْرة (ت ٨٢هـ)، والتي تتمحور حول "جمع من حضرة من بنيهِ، ودعا بسهام فحزمت، ثم قال: أترونكم كاسريها مُجَمَّعة؟ قالوا لا، قال: أترونكم كاسريها مفرقة؟ قالوا: نعم، قال: هكذا الجماعة، ثم مات".

في بيان مقصدية الخبر، فقد استعارة لصداقة صاحبه صفة الافتراس عند الحيوان الذي استحوذ عليه بدلالة قوله (مخالبك)، فالتعبير بالحيوان واحدة من الاساليب التي توكأ عليها الشعراء والادباء؛ ليغنونوا به ابداعاتهم ونتائجهم، وليكشفوا عن معاني ومرام مستخدمين منه ستار يتخفون وراءه، كما يشبه محبته واخلاصه بالحبل الذي كان يشد ويلتف حول عنقه بدلالة قوله ((ريقة الذل))، فضلاً عن معاني الافعال (اعتقني، أبرأني، نزع)، التي دلت على الترك والصدّ دون عودة، هذا ما اراد اثباته ابن العميد، لتحقيق المعنى (الاستغناء) وتمكنه في ذهن جاحده. وفي قوله من [المجتث]:

لِيَجْزِيَنَّكَ وَدِّيَ بِمِثْلِ فَعْلِكَ فَعْلًا

(المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ٦٦)

حمل الخبر في ظاهر المعنى المدح الذي فهم من الفعل (ليجزينك)، لأنه افاد الجزاء والثواب، إلا انه أضمر بنسق تحت عباءة المعنى الأول الذي كشف عنه سياق النص العام ومناسبة القصيدة التي كانت في (اللوم والعتاب)، لذا حمل الخبر معنى مجازياً مخالفاً للمدح هو (الاستغناء)، الذي سبق بلام التعليل؛ ليوضح علة استغناؤه، وهو تخلي صاحبه أولاً فما كان على الشاعر إلا جزاءه بالمثل*.

وقد يلقي الخبر عند ابن العميد لإظهار الحسرة والحزن على شيء ما والتوجع على فقده (قاسم و ديب، ٢٠٠٣م، صفحة

٢٧٢).

ففي قوله: "أيامنا التي جازت أيام الشباب حسناً ورقة، وفاقت اعلام المطارف ليناً ودقةً، وليالينا التي تُخجلُ خدود الرياض... تمرُّ الليالي والشهور ولا ندري" (المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ١٠٠)، يظهر ابن العميد تحسره واسفه على ايام وليالي سالفة قضاهها في شبابه بين لهو ومتعة، من خلال أسلوبه الخبري العبارات (جازت أيام الشباب حسناً ورقة، فاقت اعلام المطارف ليناً ودقة، تخجل خدود الرياض) مستعيناً بالاستعارة في الكشف عن جمال تلك الليالي في قوله: (تخجل خدود الرياض) التي خلقت صورة كاملة تؤكد دلالة الجمال - الليالي - وصعوبة نيلها و ارجاعها*. ومنه قوله من [الكامل]:

وَجَفَاءٍ خِلَ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ عَوْنِي عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

(المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ٣٤)

حمل التحسر بين طياته الكثير من المعاني الدالة عليه منها (الندم)، الذي صاغه الشاعر بأسلوب خبري في التحسر على الظن الخاطئ بخليته الذي حدد نوع الصحبة معه بقوله: (خِل) ولم يقل صاحب أو صديق، الذي دل على قوة الصداقة بينهما، وهذا ما زاد من توجعه وتحسره ظناً منه ان لديه من يقف بجانبه وقت السراء والضراء بقوله: (كُنْتُ أَحْسَبُ)؛ لذا تبين أن الخبر قد أفاد معنى التحسر فضلاً عن معنى الشكوى، إلا إن التحسر أقوى في الدلالة عبر ما أفاده التركيب السياقي للنص. وكثيراً ما يلقي الخبر ويفهم منه معاني التعظيم والتبجيل وغيرها من المعاني التي يفخر بها المتكلم بنفسه وقومه (قاسم و ديب، ٢٠٠٣م، صفحة ٢٧٣).

نحو قول ابن العميد: "أما شهدت من يغزل الأبريسم، ويفتله بالمغازل الكثيرة المعلقة بالصنارات...، فنحن قد احكمنا الالة، والمغازل دائرة، والإبريسم ممدود، والفتل مستمر به، فاذا فارقتا الموضع ابتدأت القوة التي في الدوان تضفّف، وليس لها من يمدّها بحركة..." (المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ٨٦)، إن ما اعطى أدب ابن العميد قيمة فنية عالية هو المعرفة الواسعة باللغة وكيفية استخدامها وتوظيفها داخل النص، لذا نجده يتكأ على الأمثال في سرد اخباره؛ لما تحمله تلك الأمثال من طاقات دلالية قوية ومؤثرة قادرة على احداث الدهشة، واختزال المواقف، فهو يضرب مثلاً يصف به حاله وعسكره عند سفرهم إلى

*ينظر في غرض الاستغناء رقم البيت والصفحة في أدب ابي الفضل ابن العميد: (٩، ١١-٦٧).

*ينظر في غرض التحسر رقم الرسالة والصفحة في أدب ابي الفضل ابن العميد: (٢٣-١٥).

اذريجان، مبین لركن الدولة الفارق بین حکم (ابراهيم السلار)* (الاثیر، ١٩٨٧م، صفحة ٢٦٣/٧، ٢٦٤). وحكمه لو وافق ركن الدولة تسليم البلاد إليه، فعلى الرغم من ما يحمله الخطاب من معنى التحذير بخروج البلاد من يد حاكمها (ابراهيم السلار) إلا إنه اضمر معنى آخر تحت طياته هو الفخر بما أودعه الوصف من معاني مجازية، التي ابانت قوة تحكم ابن العميد وجنده على البلاد كتحكم الصانع الذي ينظم آلة (غزل الابريسم)، فلو ابتعد عنها خرجت عن السيطرة، لذا دل السياق والألفاظ على معنى الفخر الذي تجسد في صورة (التشبيه الضمني)؛ لأنه جاء بدليل وحجة على خبره الذي اشتمل على معاني الفخر، مبرزاً صفة التحكم والمعرفة في الامور السياسية. ومنه قوله من [الوافر]:

إذا مَا حَلَّ أَرْضَ عَلَيَّ خُطْبُ وَإِنْ زَحَفَ الْكَتَائِبُ نَحْوَ أَرْضِي
كَشَفْتُ الْخُطْبَ عَنْهَا بِالْخُطَابَةِ قَصَمْتُ عُرَى الْكَتَائِبِ بِالْكَتَابَةِ

(المهداوي و البيضان، ٢٠١٨م، صفحة ٤٠)

للكلام وقع اقوى من وقع السيوف إذا ما أحسن صاحبه استخدامه، فماذا لو أجتمع عنان الكلام وسحر البيان مع موقع سياسي فذ كوزير يأخذ بكلامه الخلفاء وجنده، هذا ما أخبر عنه ابن العميد مفتخراً عبر ما أودعه في البيتين السابقين، مبین انه يستطيع ان يقضي على كل خطر بخطبة منه في جنده حتى وإن كان الخطب في أقصى البلاد هذا ما قصده بقوله: (أَرْضَ عَلَيَّ)، كذلك يخبر مفتخراً بقوة تحكمه وحسن تدبره في السياسة، بأنه قادر على حَرَّ جيوش بقوله: (كَتَائِبِ)، للمبالغة في قدرته وحسن سياسته وبلاغته، اكد المعنى ودعم دلالاته بتوظيف اسلوب الشرط في (إذا)، (إن)، ليوضح ان تلك الخطوب مبعدة لا تتحقق مع وجوده، وبذلك يتضح ان الالفاظ والمعاني وافقت الغرض المراد من الخبر، وهو الفخر بقوة التحكم، وحسن التدبر مع بلاغة الكلام.

الخاتمة

- كشف الاسلوب الخبري في أدب ابن العميد عن دلالات بلاغية تتأى عن الغموض والتعقيد، ولعل السبب في سهولة هذه المعاني يعود الى شيوع هذه الاغراض بين مجاليه، ومن تقدمه من الكتّاب، فضلاً عن هيمنت الموضوعات الأخوانية التي تقسم بالبساطة على نتاجه الأدبي، فضلاً عن هذه البساطة إلا ان أسلوبه اتصف بالفصاحة والتماسك النصي.
- يعتمد ابن العميد الى صياغة الخبر بطريقة فنية عبر رصد الترابط السياقي في سرد الاحداث والافكار، وتصويرها بشكل دقيق.
- يُكثر في نصوصه الانتقال في الضمائر بين المتكلم الى المخاطب، ويزيد هذا الانتقال من اسلوب التشويق والمتعة عبر فسح المجال امام المتلقي في تخيل الحوارات.
- تضمنت بعض اخباره في نصوصه الادبية على الأمثال، وقد منحت هذه الأمثال بعداً إقناعياً في الإخبار عن مقصدية الأديب؛ لما تحمله من طاقات لغوية مختزلة ومؤثرة.

*السلار: هو ابراهيم بن المرزيان، امير اذريجان، ولابن العميد معه موقف سلبى، جاء في الكامل: ((كان ابن العميد لما وصل الى تلك البلاد رأى كثرة دخلها، وسعة مياهها، ورأى ما يتحصل لإبراهيم منها، فوجده قليلاً لسوء تدبيره، وطمع الناس فيه لاشتغاله بالشرب والنساء، فكتب الى ركن الدولة يعرفه حاله، ويشير بأن يعوضه من بعض ولايته بمقدار ما يتحصل له من هذه البلاد ويأخذها منه، فإنه لا يستقيم له حال مع الذين بها، وإنها تؤخذ منه، فامتنع ركن الدولة من قبول ذلك منه، وقال: لا يتحدث الناس عني أني استجار بي إنسان وطمعت فيه، وأمر أبا الفضل بالعود عنه وتسليم البلاد إليه، ففعل وعاد وحكى لركن الدولة صورة الحال، وحذره خروج البلاد من يد إبراهيم، وكان الأمر كما ذكره، حتى أخذ إبراهيم وحبس)).

المصادر والمراجع

- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي. (١٩٩٣م). الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها (المجلد الاول). (تحقيق: عمر فاروق الطباع، المحرر) بيروت: مكتبة المعارف.
- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ). ((د.ت)). وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان. (تحقيق: د. احسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر.
- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (أبو الحسين). (١٩٩٧م). المقتضب في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها (المجلد الاول). (علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- الأمام أبي الحسن بن أبي الكرم المعروف بابن الاثير. (١٩٨٧م). الكامل في التاريخ (المجلد الاول). (راجع وصححه الدكتور محمد يوسف الدقاق، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- الأمام أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ). (١٩٨٧م). مفتاح العلوم (المجلد الثانية). (ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- الأمام يحيى بن حمزة بن علي العلوي البيني (ت ٧٤٥هـ). (٢٠٠٢م). الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز (المجلد الاول). (تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، المحرر) بيروت: المكتبة العصرية.
- الشيخ أبي بكر عبد القاهر عبدالرحمن الجرجاني النحوي (ت ٤٧١هـ). ((د.ت)). دلائل الاعجاز (المجلد د.ط). (قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، المحرر) القاهرة: الناشر مكتبة الخانجي.
- الشيخ العلامة ابن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ). ((د.ت)). شرح المفصل (المجلد د.ط). مصر: ادارة الطباعة المنيرية.
- العلامة جعفر السبحاني. (٢٠١٠م). مفاهيم القرآن (المجلد الاول). بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.
- جمع وتحقيق ودراسة الاستاذ الدكتور محمد حسين المهداوي، و الاستاذ المساعد الدكتور فهد نعيمة البيضان. (٢٠١٨م). أدب أبي الفضل ابن العميد (٣٦٠هـ) (المجلد الاول). بابل: دار الفرات للثقافة والاعلام.
- خالد ميلاد. (٢٠٠١م). الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية دلالية (المجلد الاول). تونس: المؤسسة العربية للتوزيع.
- د. محمد أحمد قاسم، و د. محيي الدين ديب. (٢٠٠٣م). علوم البلاغة (البديع، البيان، والمعاني) (المجلد الاول). بيروت: المؤسسة الحديثة للكتاب.
- د. وليد ابراهيم قصاب. (٢٠١٢م). علم المعاني (المجلد الاول). دمشق: دار الفكر.

سيد احمد الهاشمي. ((د.ت)). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع (المجلد د.ط). (ضبط وتدقيق وتوثيق الدكتور يوسف الصميلي، المحرر) بيروت: المكتبة العصرية.

عبد الرحمن حسن الميداني. (١٩٩٦م). البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها (المجلد الاولى). بيروت: دار القلم، ودار الشامية.

عبدالرحمن بدوي. (١٩٨١م). المنطق الصوري والرياضي (المجلد الخامسة). الكويت: وكالة المطبوعات.

عبدالعزیز عتيق. (٢٠٠٩). علم المعاني (المجلد الاولى). بيروت-لبنان: دار النهضة العربية.

عبدالقادر عبدالخليل. (٢٠٠٢م). الاسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية (المجلد الاولى). عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع.

محمد بن منظور المصري. (٢٠٠٤م). لسان العرب (المجلد الثالثة). بيروت: دار صادر.

نقل: ابي بشر متى بن يوسف. (١٩٦٧م). كتاب ارسطو طاليس في الشعر (المجلد د.ط). (حققه وترجمه: شكري عياد،

المترجمون) القاهرة: دار الكتاب العربي.